الفكر السياسي الصهيوني وتحولات القضية الفلسطينية

اسماعيل أكبر محمد
lakbarm1957@gmail.com
أ.د. طارق عبد الحافظ
tarek.col@copolicy.uobaghdad.edu.iq
كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد

الملخص:

في القرن الخامس قبل الميلاد وعلى اثر الأسر البابلي ، قام اليهود في ذلك الأسر بتحريف التوراة ونسجوا تاريخاً وحقوقاً لهم في ارض فلسطين، فكان ذلك ايذاناً بظهور(الصهيونية القديمة) ، وفي القرن التاسع عشر وبسبب خصوصيات العزلة اليهودية داخل المجتمعات الاوربية ، تنامت نزعة الكراهية لهم ، وانتشرت دعوات متعددة لخروج اليهود من تلك العزلة واندماجهم داخل المجتمعات الاوروبية ، فكان ذلك ايذاناً بظهور (الصهيونية الحديثة)، وتمثلت قيادة الصهيونية القديمة رجالا من (بني "اسرائيل")، اما الصهيونية الحديثة فكانت قيادتها من (المتهودين) من غير بني "اسرائيل"، من القاطنين في دول اوربا وعموم الغرب ، وان المشترك التاريخي بين الصهيونيتين ،قاد الصهيونية الحديثة لتبرير احتلال فلسطين بناءً على ادعاءات دينية توراتية بلورتها الصهيونية القديمة فترة الأسر البابلي ، ورغم بعض النجاحات العملية للصهيونية الحديثة فلا يمكن لها ان تخفي تناقضاتها الفكرية والمعرفية في ثنايا الايديولوجية الصهيونية ، تلك الأيديولوجية المدعومة بخلفية توراتية تم توظيفها لحث يهود العالم للاصطفاف وراء الادعاءات القومية والدينية والمطالبة بوطن لهم ، وقد قامت الصهيونية الحديثة بتوظيف مواقف الكنيسة المسيحية(المعارضة) لليهود سابقاً، وكذلك (الهولوكوست) فترة الحرب العالمية الثانية ، لتخلق من تلك المواقف والاحداث شعوراً جارفاً (بعقدة ذنب) في الغرب المسيحي ، فصار التعرض لليهود او اليهودية من المحرمات ،والاتهام باللاسامية هي الصفة الغالبة على كل اعتراض ضد مواقف الصهيونية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الصهيونية القديمة، الصهيونية الحديثة، الهولوكوست، اللاسامية.

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٤/٩/١٩	تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١١/٨	تاريخ النشر: ٢٠٢٤/١٢/١

Zionist political thought and transformations of the Palestinian issue

Ismaeel Akbar Mohammad
Iakbarm1957@gmail.com
Tarek Abd Al Hafez
tarek.col@copolicy.uobaghdad.edu.iq
College of Political Science/University of Baghdad

Abstract:

In the 5th century BCE, following the Babylonian exile, the Jews during this period altered the Torah and fabricated a history and rights for themselves in the land of Palestine. This marked the beginning of the emergence of Ancient Zionism. In the 19th century, due to the peculiarities of Jewish isolation within European societies, a growing animosity towards them emerged. This led to various calls for Jews to break free from their isolation and integrate into European societies, signaling the rise of Modern Zionism.

The leadership of Ancient Zionism was composed of men from (Bani Israel), while the leadership of Modern Zionism consisted of Judaized individuals, not from (Bani Israel), but rather from those living in European countries and the broader West. The historical commonality between the two forms of Zionism led Modern Zionism to justify the occupation of Palestine based on religious claims from the Torah, a narrative established by Ancient Zionism during the Babylonian exile.

Despite some practical successes of Modern Zionism, it cannot conceal its intellectual and cognitive contradictions within the folds of its ideology, which is supported by a Torah-based background used to urge Jews worldwide to rally behind national and religious claims, demanding a homeland for themselves. Modern Zionism also utilized the previously hostile stance of the Christian Church towards Jews, as well as the Holocaust during World War II, to create an overwhelming feeling of guilty in the Christian West. As a result, criticism of Jews or Judaism became taboo, and accusation of anti –Semitism became the dominant response to any objection to the positions of Modern Zionism.

Key Words: Old Zionism, Modern Zionism, Holocaust, Anti-Semitism.

المقدمـة:

منذ قيام "الكيان الاسرائيلي" على ارض فلسطين عام ١٩٤٨م جراء تلك الجهود الصهيونية المدعومة من دول الغرب ، اتضح "للكيان" حاجته للشرعية ، ولا تكون الشرعية الّا عبر قبول "الكيان" والاعتراف به من قبل الدول العربية من خلال الوصول الى علاقات طبيعية بين "الكيان" والدول العربية عبر ادوات التطبيع ، لذا فانّ التطبيع يشكل الاولوية الاستراتيجية في المنطقة ، وانّ هزائم ١٩٤٨م و١٩٦٧ م، انعكست بوضوح على الموقف العربي من "الكيان الاسرائيلي"، فصار التفاوض معه بديلاً عن الرفض الكامل له، وذلك للوصول الى حل للقضية الفلسطينية والصراع العربي مع هذا "الكيان" ، وكانت بعض الدول العربية تفاوض الكيان سراً، وتبنت دول عربية اخرى المفاوضات العلنية ، ومن اهم تلك المفاوضات العلنية هي مفاوضات مصر مع "الكيان الاسرائيلي" برعاية امريكية ، فتم عقد اتفاقية (كامب ديفيد) عام ١٩٧٨م، واعقبتها معاهدة السلام مع الكيان عام ١٩٧٩م، وكان مؤتمر مدريد لعام ١٩٩١م انطلاق للمفاوضات المباشرة بين الجانب العربي و"الكيان الاسرائيلي" لتختم باتفاق اوسلو عام ١٩٩٣م، وبادرت الاردن ايضا للتفاوض مع الكيان فتم عقد اتفاقية (وادي العربة) عام ١٩٩٤م، وعلى اثر تلك الاتفاقيات انهار جدار الخوف او التبرير لدى بعض الحكومات العربية تجاه شعوبها، وبدأت العديد من تلك الحكومات العربية، تسعى لإقامة علاقات مع "الكيان الاسرائيلي" والتطبيع معه وفقاً للشروط المطروحة للسلام والتطبيع .

وبالرغم من حجم التنازلات التي قدمتها الدول العربية المطبعة والتزامها بتنفيذ شروط الاتفاقيات المبرمة ، الّا انّ "الكيان الاسرائيلي" لم يلتزم بتنفيذ تعهداته المتعلقة بالحكم الذاتي الخاص بالفلسطينيين ، واصراره على الاستمرار في بناء المستوطنات داخل الاراضي العربية الفلسطينية في غزة والضفة الغربية ، وكذلك مصادرة مساحات واسعة من الاراضي الفلسطينية، والرفض التام لأي مشروع مستقبلي لإقامة دولة فلسطينية ، وكذلك الممانعة الكاملة لعودة اللاجئين الفلسطينيين ، وصار التطبيع بالنسبة "للكيان الاسرائيلي" فرصة جيدة لفرض شروطه على الدول المُطبّعة والتخطيط المستمر لتعزيز الهيمنة على المنطقة العربية ومواردها واقتصادياتها ، بل وحتى جذورها التاريخية وانتمائها الديني واللغوي،عبر مشاريع هيمنة لاحقة، تجسدت في مشروع الشرق الاوسط الجديد وصفقة القرن والديانة الابراهيمية الجديدة .

اهمية البحث:

تكمن اهمية هذه الدراسة ، كونها تتناول موضوعاً حيوياً يتصل بالشعب الفلسطيني وبقية الشعوب العربية والاسلامية ، فقضية الوعي بأبعاد الفكر السياسي الصهيوني لا زالت قضية حية، وهي من القضايا التي فرضت وجودها على الابعاد المحلية والاقليمية والدولية ، وصارت في السنوات الاخيرة من اهم محددات علاقات الغرب بالدول العربية ، فكان لابد من دراسة تحاول فهم استراتيجية "الكيان الاسرائيلي" ، وتشخيص درجات النجاح او الاخفاق في هذه الاستراتيجية بأطرها (السياسية والاقتصادية والدينية) ومدى ما تفرضه من تحديات حالية ومستقبلية على المجتمع الفلسطيني خاصة وبقية المجتمع العربي عامة .

اشكالية البحث :

من خلال تتبع مسارات الفكر السياسي الصهيوني يرتكز السؤال الأساس حول البحث عن تحديد تلك المسارات؟ وما هي الكيفية التي يمكننا من خلالها التصدي الفكري لتلك المسارات وما أفرزته عملياً طيلة العقود الثمانية السابقة من الصراع العربي الصهيوني؟

فرضية البحث:

ان المنطلقات الفكرية السياسية في مشروع "الكيان الاسرائيلي" العدواني تتسم بالسعة والشمول، ومحاولة "الكيان" توظيف التطبيع للحفاظ على الامن القومي "للكيان" وضمان تحقيق ذلك التوسع الاقليمي الذي يومّن "للكيان" والقوى الداعمة له الهيمنة الكاملة على المنطقة وثرواتها ومن هذا المنطلق فان البحث يحاول التحقق من فرضية مفادها: كلما كانت توجهات "الكيان الاسرائيلي" بتوسيع مجالات التطبيع ومشاريعه مع الدول العربية (سياسية او اقتصادية او دينية) كلما زادت انعكاساتها سلباً على امن واستقرار المنطقة العربية عامة وعلى القضية الفلسطينية بشكل أخص. ويدفع الى خلق حالة من التشتت والانقسام بين الدول العربية ويصادر منها اية مبادرة للوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني.

منهجية البحث:

تمثلت منهجية البحث من خلال توظيف المنهج الوصفي التحليلي لتشخيص وتتبع الموضوعات ومحاولة تحليلها والوصول الى النتائج الواقعية من ذلك التحليل، وكان لا بد من

اختيار المنهج التاريخي للاطلاع على كل الخلفيات الفكرية والسياسية في إطار موضوع البحث ومحاولة ربط الجذور بالتداعيات الحاضرة والمحتملة مستقبلاً، ضمن موضوع البحث.

المبحث الاول

الدلالة الاصطلاحية واسباب نشوء الصهيونية

هناك مجموعة متداخلة من العوامل السياسية والاقتصادية والتاريخية التي ساهمت في ظهور الصهيونية، سواء كانت تلك الصهيونية يهودية او غير يهودية، وتبقى الصهيونية مرتبطة بالتاريخ الغربي بكل تحولاته الفكرية والسياسية والاجتماعية، خاصة ان الغالبية العظمى لليهود في العصر الحديث يقطنون الغرب، وان العلاقة بين الصهيونية والتوراة او التلمود او حب صهيون ما هي الا اعذار سياسية لغرض حل المسألة اليهودية التي استفحلت في الغرب جراء التحولات التي احدثتها الثورة الصناعية.

اولاً: الدلالة الاصطلاحية للصهيونية

١. ان كلمة الصهيونية تعود نسبتها الى جبل (صهيون)، وجاء لفظ صهيون في التوراة وتكرر في الاسفار اليهودية، واصله جبل شرق مدينة القدس القديمة، حيث جاء في التوراة انّ النبي (داود) قام بانتزاعه من(اليبوسيين) ممن كانوا يسكنون ارض فلسطين قبل (العبرانيين)، والمراد منه مدينة النبي داود الذي يرمز الى عاصمة المملكة اليهودية ورمز مجدهم (المسيري ٢٠١٤ ، ١٠-١٤).

٢. وهناك دراسات تشير الى انّ تعبير الصهيونية ظهر لأول مرة عام ١٨٩٣م، على يد الالماني (ناثان بيرنباوم) اشتقاقا من لفظة صهيون القديمة، واستعمل اللفظ للدلالة على قلعة القدس او القدس نفسها او المعبد او جبل صهيون لتشمل دلالة اللفظ اخيراً، الارض المقدسة كلها (الأصبحي٢٠٠٠ ، ١٨٩).

٣. وانّ لفظة (الصهاينة) تطلق على من يعتبر اليهود شعباً كبقية الشعوب، ويؤيد اقامة دولة لهم فوق ارض فلسطين، بغض النظر ان كان هؤلاء المؤيدين من اليهود او المسيحيين او من المسلمين او اي اتجاه فكري او ديني آخر (علي ٢٠٠٩ ، ٨٠).

٤. وهناك من ينظر الى الحركة الصهيونية بانها المولود الشرعي لمرحلة الاستعمار الغربي، وقام الصهاينة بتحويل الرموز الدينية الى رموز للحركة الصهيونية، واستغلال الاساطير ومنها نبوءة العودة الى (صهيون) بما يتناسب مع الانشداد الديني لتلك الاساطير والتحولات الاجتماعية والسياسية في اوربا (علي، ٢٠٠٩ ، ١٤).

٥. وهناك اختلاف في وضع تعريف موحد للصهيونية، فهناك من اعتبرها حركة (علمانية قومية) نشأت في اوربا واستخدمت الدين لتحقيق أهدافها (الحسن١٩٩٠)، ومنهم من اعتبرها مذهباً دينياً ودعوة سياسية لليهود في هذا العصر لإقامة مملكتهم اليهودية مرة ثانية من اجل تحقيق ما اراده الله لهم (الحسن ١٩٩٠ ، ١٢).

٦. وقد عرّف عبد الوهاب المسيري الصهيونية كونها: " ذات ديباجة يهودية وذات ديباجة غير يهودية، وهي ديباجة (الاغيار) المقصود بها الصهيونية المسيحية " اي ان للصهيونية اصولاً دينية ترتبط بالمسيحية، ويطلق لفظة الصهيوني على كل من يحمل الفكر نفسه يهودياً كان او مسيحياً (المسيري١٩٩٩ ، ١٣٦-١٣٩). وحول وصفه (للصهيونية غير اليهودية) فهو يقول بأنّها: " نظرة محددة لليهود ظهرت في اوربا بين الاوساط (البروتستانتية) في انجلترا، وبالتحديد من اواخر القرن السادس عشر، حيث يرون انّ اليهود ليسوا جزءاً من التشكيل الحضاري الغربي، انما هم (شعب مختار) وطنهم المقدس في فلسطين، لذا يجب ان يهاجروا اليه.. مما أطلق على هذه النزعة اسم الصهيونية المسيحية " (المسيري ١٩٩٩ ، ١٤).

٧. ومن اسباب دعم الصهيونية المسيحية لقيام الدولة اليهودية هو الاعتقاد بانّ تلك الدولة ستكون مقدمة لنزول السيد المسيح (عليه السلام) وفقاً لقناعاتها الدينية، ولكن هناك دافع آخر عند الغرب لدفع اليهود الى فلسطين، وهو التخلص من وجودهم في اوربا بطريقة منهجية دون الاضطرار للجوء الى الابادة او الطرد، وتحويلهم الى (عناصر وظيفية) (المسيري، عبد الوهاب،٢٠١٠)، نافعة تخدم مصالحهم، وبالمقابل يقوم الغرب بالدفاع عن هذه الدولة الصهيونية وضمان بقاءها واستمرارها (المسيري ١٩٧٥ ، ٣١٩).

٨. وفي اطار الديانة اليهودية ،فهناك عدد من الحاخامات يعارضون الرؤية الصهيونية للعودة الى (فلسطين او صهيون) ، فالعودة محرمة على اليهود، وعليهم الانتظار حتى يأذن الرب بذلك ، وخلاف ذلك فهي هرطقة والتعجيل بالنهاية ، لذا فهم ينظرون للصهيونية كونها عقيدة سياسية وليست دينية ، فهناك يهود (غير صهاينة) مثل (جماعة ناطوري كارتا)، (تعني (ناطوري كارتا) باللغة الآرامية (حارس المدينة) ، وهي حركة دينية لا تعترف ب"الكيان الاسرائيلي" على الاراضي الفلسطينية ، وهي مناهضة للصهيونية وتعتقد بانّ قيام دولة لليهود لا يكون الا بموافقة الرب ، لا بسلب شعب آخر ارضه ، وانّ موافقة الرب لا تكون الا بعودة اليهود الى شريعتهم

التي عاقبهم الرب لمخالفتها ، وكانت جماعة ناطوري كارتا جزء من حزب اغودات يسرائيل ، والذي تم انشاءه في بداية القرن العشرين ، وبعد اصدار وعد بلفور من قبل الحكومة البريطانية ، دعم الحزب هجرة اليهود من اوربا الى فلسطين ولكنه تمسك برفضه لإقامة دولة يهودية على ارض فلسطين ، ولكن بدأ الحزب بتقديم تنازلات تدريجية للصهاينة ، فانشق جزء من الحزب عام ١٩٣٥م، لينشئوا بعد ذلك حركة ناطوري كارتا ، وبدأت جماعة ناطوري كارتا استخدام هذا الاسم منذ ١٩٣٨م، كتعريف لها في الاوساط العالمية ، وقد تأسست الجماعة في مدينة القدس على يد الحاخام (امرام بلاو) ، وتولى بلاو قيادة ناطوري كارتا حتى وفاته ١٩٧٤م، وانكر بلاو وجماعته تشكيل "الكيان" ورفض اعتبار الصهيونية هي الوكيل لمصالح اليهود في العالم) (موقع الجزيرة الاخباري،٢٠٢٤) ، كما ان هناك(صهاينة غير يهود) امثال (اللورد بلفور واللورد شافتسبري ولورانس اوليفانت) وغيرهم (المسيري ٢٠١٠ ، ٧٣-٧٤).

٩. لقد كانت البدايات الحقيقية للفكر الصهيوني في القرن السابع عشر بإنكلترا في بعض من الاوساط البروتستانتية المتطرفة والتي كانت تنادي بالعقيدة الاسترجاعية ، اي شرط عودة المسيح وتحقيق الخلاص هي عودة اليهود الى فلسطين ، وقد قامت الاوساط الاستعمارية العلمانية في انكلترا بتبني هذه الاطروحة للرجعة وعلمنتها ، وبعد ذلك تم بلورتها بشكل كامل في منتصف القرن التاسع عشر على يد مفكرين معاديين لليهود واليهودية من غير اليهود ، وهما كل من اللورد (شافتسبري) الذي تتضمن كتاباته كل المقولات الاساسية للصهيونية وكذلك (لورانس اوليفانت) الذي انشأ مستوطنة صهيونية ، وقد نما الفكر الصهيوني الغربي قبل ظهور هيرتزل ، ومن الشخصيات التي كانت تدعو للفكر الصهيوني ايضا وفي نفس الوقت معادية لليهود وتكن لهم الكراهية العميقة هو بلفور ، صاحب الوعد الشهير ، وعد بلفور، والذي كان يرى اليهود بأنهم يشكلون عبئاً على الحضارة الغربية (المسيري٢٠١٠).

ونظرا لعلاقة الصهيونية المسيحية بالصهيونية اليهودية ودعمها لاقامة "الكيان الاسرائيلي" لذا فلا بد من الوقوف عند مفهوم الصهيونية المسيحية بشكل اوسع وكما يلي:

- يعتقد البعض انّ الصهيونية المسيحية حركة ذات صبغة دينية سياسية تخدم اليهود واتباع الصليب معاً، ولكن عبد الوهاب المسيري يحصر الصهيونية المسيحية بالغرب فقط دون الشرق، حيث انّ اوائل المعادين للصهيونية هم من العرب المسيحيين، كما انّ موقف

الكنيستين (الارثوذكس والكاثوليك) هو موقف معارض للصهيونية المسيحية من منطلق عقائدي مسيحي (المسيري ٢٠١٠ ، ١٣٧).

- وهناك من يرى الصهيونية المسيحية مجموعة من المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين مسيحيين وبالأخص قيادات الكنائس البروتستانتية والتي تؤيد قيام دولة يهودية في فلسطين، وعلى اساس كونها حقاً دينياً وتاريخياً لليهود، ودعمها المباشر وغير المباشر، على اعتبار عودة اليهود الى الارض الموعودة (فلسطين)، برهان على صدق التوراة واكتمال الزمان ورجوع السيد المسيح ثانية (الحسن ١٩٩٩ ،١٢).
- وفي القرن التاسع عشر برزت في اوربا حركة عرفت بالحركة الانجيلية البروتستانتية الاصولية والتي كانت تدعي بان الخطة الالهية للعودة الثانية للمسيح المنقذ، مفتاحها هم اليهود (المسيري١٩٧٥ ، ١٤٢).

ثانيا: اسباب نشوء الصهيونية

هناك اسباب معينة ساهمت في نشوء الصهيونية الحديثة منها (المسيري٢٠١٤ ، ٥٧-٦٧):

١. الدولة القومية والجماعة اليهودية الوظيفية

انّ وضع اليهود كجماعة وظيفية في اوربا كان وضعاً مستقراً، ولكن حينما ظهرت الرأسمالية المحلية في شرق اوربا مع بدايات القرن التاسع عشر، ثم الدولة القومية والنظام المصرفي الحديث ، وجدت الجماعات اليهودية نفسها بلا دور انتاجي او اقتصادي يمارسونه وصاروا معرضين لاضطهاد المجتمع الذي لم يعد بحاجة الى خدماتهم فكان عليهم البحث عن وظيفة جديدة غير (الربا والتنجيم والبغاء والتجارة البدائية) ، وانصبت جهود روسيا والنمسا مدعومة بجهود الاغنياء من اليهود في الغرب مثل(هيرش وروتشيلد) لتحويل اليهود الى قطاع اقتصادي منتج عن طريق ممارسة مهنة الزراعة ، ولكن استمرت موجات النزوح من اوربا الشرقية باتجاه دول اوربا الغربية ، فصارت الفكرة الاستعمارية هي اعادة انتاج (الجماعة الوظيفية) وتحويلها الى(دولة وظيفية) ، فكانت الصهيونية هي الوسيلة لتحقيق تلك الدولة الوظيفية المتمثلة "بالكيان الاسرائيلي"، (يُقصد بالجماعة الوظيفية هي مجموعة بشرية محدودة العدد يقوم المجتمع بإسناد عدد من الوظائف لها لا يمكن لذلك المجتمع الاضطلاع بها او لا يرغبون الاضطلاع بها، وتناط بالجماعة الوظيفية، و تتصف الجماعة الوظيفية داخل المجتمع المضيف بما يلي :

- العزلة والغربة داخل المجتمع المضيف.
- الانقطاع عن الزمان والمكان والاحساس بالهوية الوهمية، فيتعمق شعورهم بالغربة نحو المجتمع المضيف.
- علاقة تعاقدية نفعية مع المجتمع المضيف، فالمجتمع المضيف يتعامل مع الجماعة الوظيفية كونها وسيلة لا غاية، وإنها مادة يتم التعامل معها بمقدار نفعها.
- النسبية الاخلاقية وازدواجية المعايير، وجود رؤية اخلاقية ثنائية، فما يسري من قيم اخلاقية على أحد الطرفين لا يسري على الطرف الاخر)، (المسيري٢٠١٤)، فهذه الدولة الوظيفية تدخل في علاقات نفعية تعاقدية مع الغرب نظير ان يقوم الغرب بحمايتها.

٢. التفسير الحرفي للعهد القديم والرؤية الالفية الاسترجاعية

الالفية هي ترجمة لكلمة (Millenarianism) الانجليزية المأخوذة من الكلمة اللاتينية (ميلينياروس) ومعناها (تحتوي على الف) ، والعقيدة الالفية تعود جذورها الى اليهودية ولكنها اصبحت فكرة مركزية في المسيحية البروتستانتية ، والعقيدة الاسترجاعية هي الفكرة الدينية التي ترتبط بالعصر الالفي ، فلا بد ان يتم استرجاع اليهود الى فلسطين تمهيداً لمجيء المسيح ، لذا فان من يقف في وجه العودة يعتبر من اعداء الاله ويقف ضد الخلاص المسيحي ، والعقيدة الاسترجاعية كالعقيدة الالفية هي عقيدة صهيونية وتفترض الوحدة العضوية بين اليهود في الماضي والحاضر والمستقبل وانكار التاريخ بالكامل .

٣. موقف الكاثوليكية والبروتستانتية من اليهود في الغرب

اعتبار اليهود هم قتلة المسيح وهم الشاهد على عظمة الكنيسة الكاثوليكية، اما البروتستانت فرؤيتها ان الخلاص لا يتم الا بعودة اليهود الى فلسطين وتنصيرهم.

٤. دور الدول الامبريالية في ظهور الصهيونية

وجدت الامبريالية الغربية انّ الجماعات اليهودية سوف تخلق مشاكل عديدة في حالة بقاءها في الغرب، لذا فانّ توظيف تلك الجماعة خارج العالم الغربي سيزيد من نفوذ الغرب، وخصوصاً إذا تم توظيفها كمادة قتالية لحساب الغرب، وانّ القيادات الصهيونية وجدت امكانية تحقيق المشروع الصهيوني عبر تقبل هذه الوظيفة القتالية.

المبحث الثاني

الفكر السياسي الصهيوني وجذوره في الصراع العربي "الاسرائيلي"

استطاعت الحركة الصهيونية انتاج شبكة كثيفة من الاساطير والرموز في سياق معاصر وبما ينسجم مع الروايات التوراتية والتلمودية بشكل عام ، فعَلَم "الكيان الاسرائيلي" باللونين الابيض والازرق(بلون شال الصلاة اليهودية) وتتوسطه نجمة داود ، اما اسم الكنيست اليهودي فهو مشتق من اسم المعبد اليهودي (هاكنيس) ، واما النشيد الوطني (هاتيكفا) فانّ كلماته تتحدث عن عودة اليهود الى فلسطين ، وبعد احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م ، قام الصهاينة بتغيير اسماء المدن والموانئ الفلسطينية الى اسماء عبرية قديمة ، وقام "الكيان الاسرائيلي" بإحياء اللغة العبرية.

وانّ احياء هكذا رموز تاريخية تنعكس بقوة على مواقف "الاسرائيليين "في مسائل الحرب والسلام. وفي هذا المبحث سنتناول تلك المؤشرات التي تدل على امتداد جذور الفكر السياسي الصهيوني في ثنايا الصراع العربي "الاسرائيلي"، ومن تلك المؤشرات:

١. انّ الايديولوجية الصهيونية بحكم النشأة والولادة تتبنى مفهوم شعب الله المختار والذي يعني انّه شعب مختلف ولا تنطبق عليه معايير المساواة مع بقية الشعوب (اعترض الكثير من الكتاب اليهود على مقولة (الشعب اليهودي) ومن هؤلاء آرثر كوستلر في كتابه (امبراطورية الخزر وميراثها– القبيلة الثالثة عشر) والذي يشير الى ان اليهود الحاليين في اغلبيتهم العظمى ليسوا ساميين ، اي انهم ليسوا من نسل بني "اسرائيل" القدامى ، بل آريون وقوقازيون خزر على وجه التحديد ، فاليهود جنس هجين وغير نقي ، ويهود اليوم هم غير اليهود القدامى من حيث نقاوة النسل) (المقداد ١٩٩٩ ، ٤١–٤٢) ، لذا فان الصهيونية تتعامل مع الصراع في فلسطين المحتلة من منطلق انّه صراع وجودي ، ويراوح بين الفناء او البقاء ، فالصهيوني لا يكتفي باستغلال الناس واخضاعهم كأي استعمار آخر ، لكنه يرمي الى ابادة الاخر والحلول مكانه ، لذا فانّ الصهيونية تطبق (الخاصية الاحلالية) التي تتمثل تطبيقاتها في التغييب والتهميش والالغاء لأصحاب الارض الأصليين (عماد ٢٠٠٤).

٢. ان الصهيونية كحركة قومية دينية وعنصرية تدّعي التفوق والاستعلاء وعدم الاعتراف بالآخر على النقيض من الجانب العربي الذي يؤمن بالتنوع والعيش المشترك والتفاعل

الانساني والحضاري، لذا فانّ المشروع السياسي الاستعلائي للحركة الصهيونية هو الذي اوقد نار الصراع، حيث انّ المشروع الصهيوني يتضمن تغيير هوية وطرد شعب، ولا تملك الصهيونية ان تتخلى عن مشروعها التاريخي في هكذا صراع، لأنها ان فعلت خلافاً لذلك فقدت ذاتها (عماد ٢٠٠٤ ، ٣).

٣. انّ الفكر الصهيوني يقوم على حقيقة (افتراضية) مفادها انّ اليهود يشكلون كياناً قومياً واحداً ومتجانساً في كل العصور، رغم تفرقهم في مجتمعات متعددة حول العالم، وتدّعي الصهيونية انّ المشكلة الوحيدة التي يعاني منها اليهود هو ذلك التشتت وما ترتب عليه من اضطهاد في كثير من الدول، ولا حل للخروج من هذا التشتت وذلك الاضطهاد الا بالعودة الى ارض الميعاد (لقد استغلت الحركة الصهيونية فكرة اضطهاد اليهود في العديد من المجتمعات وكذلك موضوع الهولوكوست ، وبالغت لاظهار اليهود هم ضحايا، وذلك لتبرير سيطرتهم على فلسطين وقتل وتشريد اهلها ، انّ هذا الموقف الفكري للصهيونية اتسم بالثبات بغض النظر عن تعدد التيارات السياسية القائمة في "الكيان الاسرائيلي" بتوجهاتها اليمينية او اليسارية او الاشتراكية او الرأسمالية)(عماد ٢٠٠٤ ، ٦).

٤. استطاعت الحركة الصهيونية تقوية الرابطة بين الدين والكيان "الاسرائيلي" وذلك لضمان عدم انفصال اي منهما عن الاخر، لذا فانّ الحركة الصهيونية مغايرة للحركات الاوربية التي نادت فصل الدين عن الدولة والاخذ بالعلمانية كمنهج في ادارة الحياة، وقد حددت الحركة الصهيونية مشتركات الدين اليهودي مع "الكيان الاسرائيلي" في ثلاثة عناصر هي: (الارض، الشعب، العقيدة) (ربيع ١٩٧٨ ، ١٣٤).

٥. وقد منحت الحركة الصهيونية القوى الدينية في "الكيان الاسرائيلي" نفوذاً سياسياً كبيراً وقدرة على التاثير في الرأي العام اليهودي، ويتضح ذلك التأثير من خلال مراقبة القوى الدينية تطبيق التعاليم الدينية اليهودية، والضغط المستمر لربط الدين "بالكيان الاسرائيلي"، وتتدخل تلك القوى الدينية في مجالات التنشئة السياسية والاجتماعية وكذلك تأثيرها في مجالات التعليم ووسائل الاعلام المختلفة (بشارة ١٩٩٧ ، ٥٠).

٦. سعت الصهيونية لتحقيق اهدافها القومية والدينية من خلال الاستعانة بمراكز القوى الكبرى، وقد استجابت لها بريطانيا لتوافق المصالح الاستعمارية البريطانية مع الاطماع الصهيونية (الهندي١٩٧١). وعندما صارت الولايات المتحدة الامريكية القوة العظمى في العالم توجهت اليها الحركة الصهيونية طالبة منها المساندة والدعم، واستطاعت الصهيونية زرع فكرة انبعاث المسيح من جديد في عقول المسيحيين مشروطة بعودة اليهود الى فلسطين، وسيحكم فيها ألف عام وسيعم العالم السلام، اضافة الى جماعات الضغط الصهيونية وما تلعبه من دور في كسب تعاطف الادارة الامريكية واقناعها بأنّ الصراع العربي –"الاسرائيلي" ما هو الّا صراع بين الشرق والغرب (الهزايمة ٢٠٠٤ ، ١٣١).

٧. انّ الكتابات الصهيونية (ما قبل قيام "الكيان الاسرائيلي") تصف العرب بأوصاف تدل فيها على نوايا تفتيت والسيطرة على هذا الشعب، فقد تحدث (سوكولوف) أحد القادة الصهاينة في كتاب له بعنوان (تاريخ الصهيونية) يوصف العرب فيه قائلاً: " انّ شعوب القسم العربي من الامبراطورية العثمانية عبارة عن شلة من الاعراق والمعتقدات والطوائف والانظمة الاجتماعية المختلفة بدون اية رابطة مشتركة غير اللغة، وانّ الصفات الطبيعية لأرضهم تجعل ثلثهم برابرة مفترسين رُحّلاً يخافهم الثلثان الباقيان" (نوفل ٢٠٠٧ ، ٩٠)". لذا فانّ الافكار الصهيونية كانت تبحث عن حجج تفتيت الدول العربية والوقوف امام اية وحدة عربية، وقد اشار أحد الصهاينة بان انشاء كيان يهودي على ارض فلسطين سيكون فاصلاً بين عرب اسيا وافريقيا ويمنع من اية وحدة عربية في المستقبل (محمود ١٩٨٤ ، ٢٦٣).

٨. انّ (المتدينين الصهاينة) استندوا الى فكرة اساسية في تشكيل الايديولوجية الدينية اليهودية لديهم والمبنية على عدم المراهنة على فكرة انتظار المسيح لانّ ذلك سيجعل اليهود لا يقدمون على اي مبادرة لإرجاعهم الى ارض الميعاد ، لذا دعوا الى التخلي عن فكرة الانتظار السلبي لوعد الرب التي سادت خلال ثمانية عشر قرناً ، واستغلت الصهيونية الدينية مقولتين اساسيتين يؤمن بها كل اليهود كدعاية فكرية لأفكارها وهي ارض الميعاد والشعب المختار ، وكانت اول القيادات الدينية لهذه الدعوة هو الحاخام

يهودا قلعي (١٧٩٨-١٨٧٨م) والذي اقترح الكف عن انتظار المسيح والبدء في العودة الى فلسطين تحت قيادة بشرية يهودية وليست مسيحانية في البداية ودعا الى اقامة مستعمرات يهودية في ارض فلسطين لتكون المقدمة لظهور المسيح (الحلبي٢٠١٣ ، ٤٥-٤٦).

٩. وفي عشرينيات القرن الماضي بادر (الحاخام كوك) ،بِحَث المتدينين اليهود من المعارضين للصهيونية للهجرة الى فلسطين، (ان معارضة الصهيونية من قبل المتدينين من الطوائف اليهودية امتدت الى الولايات المتحدة الامريكية، حيث عقد اجتماع عام ١٩٤٣م من قبل اثنين وتسعين حاخاماً من التيار (الحارادي السلفي) حيث اشاروا الى انهم لا يؤيدون البرنامج الصهيوني استنادا لمفهومهم العالمي لتاريخ المصير اليهودي، فالقومية اليهودية تخلق غموضاً وقلقاً لهم وتقوم بتحويل انتباه اليهود عن دورهم التاريخي وهو ان يعيشوا في مجتمع ديني اينما كانوا)(الحلبي٢٠١٣) ، ورأى انّ الحياة المقدسة لليهود هي المنضوية بالصهيونية، رافضاً انتظار المسيح ، وجاء من بعده(الحاخام مئير بارايلان) ليؤكد ما قاله كوك على ضرورة الايمان بالصهيونية وانضواء كل اليهود المتدينين في مشروعها من اجل استعجال مشيئة الرب لبعث المسيح (الحلبي٢٠١٣ ، ٤٧).

الخاتمة:

على ضوء ما سبق يمكن النظر الى القضية الفلسطينية كونها قضية تم الاعداد لها من جهات غربية متعددة ، فهي قضية سياسية استراتيجية لها ابعاد انسانية واسعة ، فهناك نوايا مقصودة تتكأ على دوافع دينية تمتزج بدوافع استعمارية لاحتلال ارض فلسطين وطرد شعبه ، وحلت محل ذلك الشعب كتلة بشرية قادمة من الغرب ، وانّ هذا النمط للتعامل مع الشعب الفلسطيني العربي هو نمط استعماري استيطاني احلالي ، وانّ الكيان الصهيوني البديل عبارة عن قاعدة سكانية عسكرية اقيمت في منطقة مهمة استراتيجية للغرب من اجل خدمة وضمان مصالحه وكذلك تفتيت وتجزئة الدول العربية ، وان المرتكزات الفكرية العقائدية للصهيونية تشكل تبريرات مُختلَقة لإقناع اليهود بفكرة استيطان فلسطين وفي الوقت نفسه، كانت تلك المرتكزات ادوات لخلق رأي عام عالمي للتعاطف مع الحركة الصهيونية ومحاولة ضمان دعم الحكومات الغربية لتحقيق مشروع قيام "الكيان الاسرائيلي".

وانّ الايديولوجية الصهيونية قد تم تقنينها باتجاه تشكيل حركة قومية دينية عنصرية، والتعامل مع شعوب الارض من خلال رؤية فوقية بادّعاء انّها شعب الله المختار ولا يمكن مساواتها بباقي الشعوب، التي بزعمها قد خُلقت من اجل خدمتها، وهذه الرؤية المتعالية جزء من فهمها للأسطورة التوراتية بحق اليهود للعودة الى فلسطين وبتعبيرهم الصهيوني (ارض الميعاد)، متجاهلين وجود شعب على تلك الارض تمتد حقوقه التاريخية لعشرات القرون. و يمكن القول بأن القضية الفلسطينية لا تشكل مقطعاً تاريخياً منفصلاً عن جذورها الفكرية السياسية، وقد حاولنا ان نلقي الضوء على جهود الحركة الصهيونية من اجل دفع اليهود للاستيطان في فلسطين وتحت مبررات متعددة ، وانّ وعد بلفور من وجهة نظر الباحث لم يكن السبب الاول لنكبة فلسطين، بل انّ هذا الوعد يمكن اعتباره نتيجة طبيعية لتلك الجهود المتعددة والمتواصلة للحركة الصهيونية لاستيطان اليهود في فلسطين ،وقد ساهمت ظروف الحرب العالمية الاولى والثانية لتقوية تلك التوجهات ، وانّ قضية الصراع العربي "الاسرائيلي" والفلسطيني "الاسرائيلي" هي تداعيات تلك الجهود الكبيرة للحركة الصهيونية مدعومة بدول الغرب ومصالحها في المنطقة العربية .

المصادر باللغة العربية :

١. الاصبحي، احمد محمد . ٢٠٠٠ . تطور الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر. رواد اتجاهاته، اشكالياته. ج٣، ط١. عمان : دار البشير، عمان .

٢. بشارة، عزمي . ١٩٩٧ . دوامة الدين والدولة في "اسرائيل". عمان : مركز الدراسات الاستراتيجية – الجامعة الاردنية .

٣. الحسن، يوسف . ١٩٩٠ . البعد الديني في السياسة الامريكية. ط١. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .

٤. الحلبي، تحسين . ٢٠١٣ . المخططات الصهيونية في القرن ال ٢١. ط١. القاهرة : دار الحياة.

٥. ربيع، حامد . ١٩٧٨ . إطار الحركة السياسية في المجتمع "الاسرائيلي" . القاهرة : دار الفكر العربي .

٦. ظاظا ، حسن وآخرون. ١٩٧١ . الصهيونية العالمية و"اسرائيل". القاهرة : الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية .

٧. علي، وليد محمد . ١٩٩٩ . صهيونية الخزر وصراع الحضارات. ط١. بيروت : دار التضامن للطباعة والنشر .
٨. عماد، ايهم علي . ٢٠٠٤ . أثر العوامل الاقتصادية في صنع السياسة الخارجية.رسالة ماجستير. جامعة تشرين– قسم الاقتصاد والتخطيط. عمان .
٩. محمود، امين عبد الله . ١٩٨٤ . مشاريع الاستيطان منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى. الكويت : سلسلة عالم المعرفة .
١٠. المسيري، عبد الوهاب . ٢٠١٠ . الصهيونية واليهودية، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري. اعداد: سوزان حرفي. ط٢. دمشق : دار الفكر .
١١. المسيري، عبد الوهاب . ١٩٧٥ . اليهود واليهودية والصهيونية و"اسرائيل". بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
١٢. المسيري، عبد الوهاب . ١٩٩٩ . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ط١. القاهرة : دار الشروق.
١٣. المسيري، عبد الوهاب . ٢٠١٤ . الصهيونية وخيوط العنكبوت. ط٤. دمشق: دار الفكر.
١٤. المقداد، محمد مصطفى . ١٩٩٩ . مائة عام على المشروع الصهيوني: ازمة الفكر ومأزق الدول. القاهرة : مركز الدراسات العربية والدولية .
١٥. مهدي، عبير سهام . ٢٠٠٩ . ارض الميعاد في الفكر الاسرائيلي المعاصر. اطروحة دكتوراه. جامعة بغداد – كلية العلوم السياسية .
١٦. موقع الجزيرة الاخباري. حركة ناطوري كارتا: يهود مناهضون للصهيونية وضد قيام دولة "اسرائيل". متاح على الرابط: حركة– ناطوري– كارتا– يهوديون–مناهضون https:www.aljazerra.net/encyclopedia/2022/11/10 .
١٧. نوفل، احمد سعيد . ٢٠٠٧ . دور "اسرائيل" في تفتيت الوطن العربي. بيروت : مركز الزيتونة.
١٨. الهزايمة، محمد عوض . ٢٠٠٤ . قضايا دولية– تركة قرن مضى وحمولة قرن اتى . عمان.
١٩. الهندي، هاني . ١٩٧١ . حول الصهيونية و"اسرائيل". ط١. بيروت : دار الطليعة .

المصادر باللغة الانكليزية :

1- Al-Asbahi, Ahmed Mohammed. 2000. The development of modern and contemporary Western political thought. Pioneers of its trends, its problems. Part 3, 1st ed. Amman: Dar Al-Basheer, Amman.
2- Al-Halabi, Tahseen. 2013. Zionist plans in the 21st century. 1st ed. Cairo: Dar Al-Hayat.
3- Al-Hassan, Youssef. 1990. The Religious Dimension in American Politics. 1st ed. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
4- Al-Hazaimeh, Muhammad Awad. 2004. International Issues - The Legacy of a Past Century and the Load of a Future Century. Amman.
5- Al-Hindi, Hani. 1971. On Zionism and "Israel". 1st ed. Beirut: Dar Al-Tali'ah.
6- Ali, Walid Muhammad. 1999. Khazar Zionism and the Clash of Civilizations. 1st ed. Beirut: Dar Al-Tadamun for Printing and Publishing.
7- Al-Jazeera News Website. Neturei Karta Movement: Jews Anti-Zionism and Against the Establishment of the State of "Israel". Available at the link: Movement- Neturei Karta- Jews- Anti https:www.aljazerra.net/encyclopedia/2022/11/10 .
8- Al-Messiri, Abdel Wahab. 1975. Jews, Judaism, Zionism and "Israel". Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.
9- Al-Messiri, Abdel Wahab. 1999. Encyclopedia of Jews, Judaism and Zionism. 1st ed. Cairo: Dar Al-Shorouk.
10- Al-Messiri, Abdel Wahab. 2010. Zionism and Judaism, Dialogues with Dr. Abdel Wahab Al-Messiri. Prepared by: Suzan Harfi. 2nd ed. Damascus: Dar Al Fikr.
11- Al-Messiri, Abdel Wahab. 2014. Zionism and Spider Webs. 4th ed. Damascus: Dar Al Fikr.

12- Al-Muqdad, Muhammad Mustafa. 1999. One Hundred Years of the Zionist Project: The Crisis of Thought and the Predicament of States. Cairo: Center for Arab and International Studies.

13- Bishara, Azmi. 1997. The Spiral of Religion and State in "Israel". Amman: Center for Strategic Studies - University of Jordan.

14- Imad, Ayham Ali. 2004. The impact of economic factors on foreign policy making. Master's thesis. Tishreen University - Department of Economics and Planning. Amman.

15- Mahdi, Abeer Siham. 2009. The Promised Land in Contemporary Israeli Thought. PhD Thesis. University of Baghdad - College of Political Science.

16- Mahmoud, Amin Abdullah. 1984. Settlement projects since the French Revolution until the end of World War I. Kuwait: World of Knowledge Series.

17- Noufal, Ahmed Saeed. 2007. The role of "Israel" in the fragmentation of the Arab homeland. Beirut: Al-Zaytouna Center.

18- Rabi', Hamed. 1978. The framework of the political movement in "Israeli" society. Cairo: Dar Al Fikr Al Arabi.

19- Zaza, Hassan and others. 1971. World Zionism and "Israel". Cairo: General Authority for Books and Scientific Equipment.